الكاتب: د/ رشيد مياد
أستاذ محاضر- أ –
جامعة يحي فارس المدية
البريد الالكتروني: rachidmiad@yahoo.fr

عنوان المقال: **منهج بن باديس في تعميق الفكر الثوري**

تاريخ الارسال: 2019/04/28 **تاريخ القبول:** 2019/05/ 28 **تاريخ النشر:** 2019/ 06/30

منهج بن باديس في تعميق الفكر الثوري

The approach of Sheikh Abdul Hamid bin Badis in deepening revolutionary thinking

الملخص بالعربية:

يرى البعض في الإمام عبد الحميد بن باديس، أنه مصلح ومربّ يملك فكرا دينيا تقليديا، لا يتعدى تفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والإلمام بالفقه المالكي، ولم يكن له أي توجه ثوري تحرري؟ إلا أن الإمام الشيخ بتعمقه في دراسة القرآن، والحضارة، والتاريخ، ورحلته في طلب العلم نحو المشرق العربي، واتصاله بالأساتذة وبعلماء النهضة، واطلاعه على أفكارهم، تبلورت في ذهنه خطّة كاملة في العمل التربوي، والإصلاحي، فوجد نفسه مقحما في خوض غمار السياسة، وتعاطيها في إطار الإصلاح الشامل، حتى يحقق السيادة للأمة واستقلالها ونهضتها، فعمل على انتهاج الإصلاح والسياسة، وإحياء القيم الإسلامية الأصيلة في المجتمع الجزائري، والتذكير بتاريخ الأمة وحضارتها، والدفاع عن وحدتها ومقوماتها الحضارية، والمطالبة بحقوق الجزائريين وكرامتهم.

لقد وعى الشيخ ابن باديس أسباب الداء في المجتمع، فعمد إلى تشخيص الأمراض، ووصف الأدوية فكان فكره السياسي فكرا واقعيا ، ركز فيه على الإنسان و خاصة الشباب ، فمن خلال دراسة دقيقة لشخصية ابن باديس وأفكاره يلاحظ على فكره الطابع التحرري العميق والشامل بأبعاده المختلفة، معتمدا على منهج واضح من اجل تجسيد هذه الأفكار .

إن الجهاد و الثورة التي أعلنت ضد الاستعمار الفرنسي في الفاتح نوفمبر 1954م، و تكللت ببزوغ شمس الحرية سنة 1962م ، قد أعد أسبابه ابن باديس رحمة الله عليه ، ووعد به و همّ به كذلك ، لولا كتاب من الله سبق، من خلال هذه الدراسة سنحاول ان نبرز منهج بن باديس في غرس و تعميق فكرة الثورة ، وهذا من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :كيف اعد ابن باديس أسباب الثورة ؟ وكيف وعد بها؟ وإلى أي مدى هم بإعلانها ؟ وهذا من خلال بعض

النصوص المسجلة وخطبه ومقالاته وقصائده ومنشوراته، بالإضافة إلى الشهادات التي أوردها العديد من طلبته.

كلمات مفتاحية: الشيخ عبد الحميد بن باديس،ثوري، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، منهج ، الاستعمار الفرنسي

Abstract :

-Some see that Imam Abdelhamid Ibn Badis is a peace maker and an educator who has a traditional and religious thought which don't surpass the Quran's interpretation and the prophetic Hadith as well. He is familiar with Imam Malik jurisprudence, otherwise he had no warial liberal orientation . but he did a deep study about the Quran , History and civilization

He traveled into the Arabic Orient where he made a contact with teachers and scientists in order to learn about their ideas ,so a plan came into his mind concerning the educational and the reformatory work .as a result , he found himself included in politic issues to make a global reformatory to perform the independence and the dominance of the nation then he tried to persue politics and reformation , moreover he flourished the Islamic values in the Algerian society then he made a reminder about the history and the civilization of the nation in addition he made a defense for unification of his country and its civilized basics as well to ask for the Algerians' rights and dignity .

Cheik Ibn Badis was aware about the cause of social diseases so he diagnosed them and his political ideas were real and he emphasized on human being especially the youth .

During the precise study about Ibn Badis character and thought, it was observed that there is a deep liberal thought in his character which generate the different dimensions and he depend on a clear method to materialize these thoughts .

The Jihad and the war that are proclaimed against the French colonization in November 1st 1954 .then it ends by the freedom in 1962. Its causes was made by Ibn Badis God bless him.

Through this study .we will try to clarify Ibn badis ' method in planting the warial thoughts by answering the following questions : How did Ibn badis made the causes of war ?

How did he make a promise of this war ? which extent he declared it ?

Key Words:

Man of war , the association of Algerian Muslim ulemas , Method , French colonization

المقدمة:

يرى البعض في الإمام عبد الحميد بن باديس، أنه مصلح ومربّ يملك فكرا دينيا تقليديا، لا يتعدى تفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، والإلمام بالفقه المالكي، ولم يكن له أي توجه ثوري تحرري؟ إلا أن الإمام الشيخ بتعمقه في دراسة القرآن، والحضارة، والتاريخ، ورحلته في طلب العلم نحو المشرق العربي، واتصاله بالأساتذة وبعلماء النهضة، واطلاعه على أفكارهم، تبلورت في ذهنه خطّة كاملة في العمل التربوي، والإصلاحي، فوجد نفسه مقحما في خوض غمار السياسة، وتعاطيها في إطار الإصلاح الشامل، حتى يحقق السيادة للأمة واستقلالها ونهضتها، فعمل على انتهاج الإصلاح والسياسة، وإحياء القيم الإسلامية الأصيلة في المجتمع الجزائري، والتذكير بتاريخ الأمة وحضارتها، والدفاع عن وحدتها ومقوماتها الحضارية، والمطالبة بحقوق الجزائريين وكرامتهم.

لقد وعى الشيخ ابن باديس أسباب الداء في المجتمع، فعمد إلى تشخيص الأمراض، ووصف الأدوية فكان فكره السياسي فكرا واقعيا ، ركز فيه على الإنسان و خاصة الشباب ، فمن خلال دراسة دقيقة لشخصية ابن باديس وأفكاره يلاحظ على فكره الطابع التحرري العميق والشامل بأبعاده المختلفة، معتمدا على منهج واضح من اجل تجسيد هذه الأفكار .

إن الجهاد و الثورة التي أعلنت ضد الاستعمار الفرنسي في الفاتح نوفمبر 1954م، و تكللت ببزوغ شمس الحرية سنة 1962م ، قد أعد أسبابه ابن باديس رحمة الله عليه ، ووعد به و همّ به كذلك ، لولا كتاب من الله سبق، من خلال هذه الدراسة سنحاول ان نبرز منهج بن باديس في غرس و تعميق فكرة الثورة ، وهذا من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية :كيف اعد ابن باديس أسباب الثورة ؟ وكيف وعد بها؟ وإلى أي مدى هم بإعلانها؟ وهذا من خلال بعض النصوص المسجلة وخطبه ومقالاته وقصائده ومنشوراته، بالإضافة إلى الشهادات التي أوردها العديد من طلبته.

اعتمد ابن باديس منهجا واضحا في نشر وتعميق الفكر الثوري التحرري، بداية بإعداد أسباب الثورة مرورا بوعود من اجل تفجيرها. ثم التفجير، كما يلي:

أ/ إعداد أسباب الثورة: يتضح ذلك من خلال:

1-الدور الذي قام به في التوعية العقائدية والفكرية والسياسية التي سبقت الثورة:

قبل الجهاد تحتاج الأمة إلى تصحيح القيم والسلوكيات والعقائد، فقد أمر الله عز وجل الصحابة بالصلاة قبل الجهاد، قال الله تعالى:" كفوا ايديكم واقيموا الصلاة "[1] ثم امرهم بمقاتلة الذين يقاتلونهم قال تعالى: "قاتلوا الذين يقاتلونكم، ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين "، ثم امرهم بمقاتلة المشركين كافة، قال تعالى:" قاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة "[2].

النبي صلى الله عليه وسلم دعى الناس 15 سنة منها 13 سنة في مكة و سنتين في المدينة قبل إعلان الجهاد و سل السيف، هذه السنوات كانت كلها تصحيح للعقائد و غرس للقيم، أو قل عنها أنها توعية شاملة و إعداد لجيل النصر ، إذا نستطيع القول أن تهيئة الأسباب تعتبر من الواجبات الشرعية ، و على هذا النهج سار بن باديس رحمة الله عليه ، حيث قام بدور كبير في اعداد الجيل الذي فجر ثورة الفاتح نوفمبر 1954 و تجسد ذلك في :

1- تطهير الإسلام مما علق به من الشركيات والبدع والخرافات:

إن الإصلاح ينبغي أن يبدأ من الدين بتنقيته من الخرافات والبدع التي طمست على عقول المسلمين، و كانت سببا في تأخرهم، لقد كان الجزائريون يعتقدون اعتقادات فاسدة كالتبرك بأضرحة الأولياء ، و الاعتقاد في قدراتهم و أدّعاء قدسية شيوخ الطرق و الرقص و

التهتك في الاحتفالات المبتدعة، و اختراع أذكارا محرفة، و قربات مخالفة للكتاب والسنة ، بلغت بهم إلى درجة الوثنية التي و صفها المبارك الميلي بالجاهلية الحاضرة ، بعد جاهلية عصر الوحي، بل انه ذهب إلى أبعد من ذلك في الوصف فقال :" انه لا فرق بينهما في الجهل بما ينافي التوحيد ولا في الابتلاء بالمبتدعين و الدجالين، ولا في التبرك بالآثار احتماء من الأقدار، و لا في التقرب من الأحجار و النفور من المرشدين والأخيار، ولا في عصيان من خلقهم وعبادة ما نحتوه، ولا في افتراق الكلمة والانقسام إلى شيع متعادية."[3]

لقد أدرك الامام بن باديس ورجال الإصلاح خطورة الوضع الذي بلغه المجتمع الجزائري من جراء الانحرافات الكثيرة التي نسبت إلى الدين، وتركت آثارا سيئة للغاية في المجتمع الجزائري، فكانت الدعوة إلى العودة إلى الإسلام الصحيح المستمد من القران الكريم والسنة المطهرة.

و في سبيل تحقيق هذا الهدف ألف الشيخ مبارك الميلي كتاب " رسالة الشرك و مظاهره"، كما تولى الإمام ابن باديس تأليف كتاب "العقائد الإسلامية "، وقد جاء في أصول هذه الدعوة ما نصه :"فكل شرك في الاعتقاد أو في القول ، أو في العمل فهو باطل ، بناء القباب على القبور، والذبح عندها لأجلها و الاستغاثة بأهلها ضلال في أعمال الجاهلية"[4]، و الإصلاح هنا لم يكن بتعليم عقيدة جديدة إنما بتطهير ما هو كائن، وتجديد فعاليته في المجتمع كما يقول مالك بن نبي :" أن المشكلة لا تكمن في تعليم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي."[5]

1-2- محاربة الزوايا و الطرقية المنحرفة و عقيدة الارجاء:

يقول أصحاب هذه العقيدة :" الايمان في القلب ،أين ضيعوا الامر بالمعروف و النهي عن المنكر" ، قاوم ابن باديس و الجمعية الطرقية الضالة التي كانت أداة طيعة للاستعمار، خصوصا أن المخططين لها من كبار فلاسفة الاستعمار و مفكريه، هذا ما جعلهم يطلقون شعارات باطلة منها " من لم يكن له شيخ، فشيخه الشيطان "، الأمر الذي جعل العلماء المصلحين يشرحون للرأي العام زيف الترهات والأباطيل المنافية للإسلام ،و يكشفون للناس تواطؤ بعض أولئك الرؤساء والشيوخ ، مع حكام الاستعمار، أعداء الإسلام وخصوم كل نهضة ويقظة وتقدم.[6]

وكان رد ابن باديس و الإبراهيمي: " أن هذا البلاء المنصّب على الشعب المسكين، آت من جهتين متعاونتين عليه ... استعمار مادي، وهو الاستعمار الفرنسي، واستعمار روحاني يمثله مشايخ الطرق المؤثرون في الشعب أو المتاجرون باسم الدين، والمتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية.[7]

وتحت عنوان لماذا حاربت الشهاب الطرقية؟ علق ابن باديس " حاربنا الطرقية لما عرفنا فيها –علم الله – من بلاء على الأمة من الداخل والخارج، فعملنا على كشفها، وهدمها مهما تحملنا في ذلك من صعاب ..."، ورغم أن هذه الحرب لم ترق للطرقيين، إلا أن الكثير رحبوا بها أمثال مالك بن نبي الذي أيد الجمعية في هذا الجانب.[8]

1-3-محاربة حركة التبشير:

يعد التبشير سبيلا للسيطرة السياسية و الروحية ، لذا حاولت فرنسا القضاء على كل ما ليس نصرانيا ،لإظهار النصرانية في مظهر الديانة الإنسانية، وهذا ما يعلل تحاملها على الدين الإسلامي، الذي تعتبره خطرا عليها ، لذلك عملت على إتباع كل السبل للحدّ من انتشاره، وكانت الجمعية تنظر إلى التبشير على انه :"نتيجة من نتائج التعصب المسيحي المسلح، ومولود من مواليد القوة الطاغية التي تسمي كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية الدين أو حرية الفكر، وانه أداة من أدوات السياسة في ثوب ديني، و شكل كهنوتي دفعته أولا ليكون رائدها في الفتح و قائدها في الاستعمار.[9]

و كان ابن باديس و الجمعية ترى انه من المعقول أن يثمر التبشير في بلد كالجزائر لتوفر الظروف المواتية لذلك فعملت الجمعية على القضاء على هذه الحركة و مقاومتها عن طريق المحاضرات و الدروس العامة، ومن خلال تعليمها للشعب الجزائري قيمة دينهم و ضرورة التمسك به وبأنه جزء مهم في هويتهم و شخصيتهم التي لا تقوم إلا على المبادئ التي تنادي بها الجمعية (الإسلام ديننا ، والعربية لغتنا ، والجزائر وطننا)ونجحت في ذلك إلى حد بعيد، فلم تتمكن الحركة التبشيرية من تحقيق مرادها أمام تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية و الأمية و الفقر.[10]

1-4-محاربة سياسة التجنيس والادماج:

يحدثنا الشيخ البشير الإبراهيمي عن حرب جمعية العلماء بقيادة ابن باديس لسياسة التجنيس والاندماج، وكيف واصلت هذه الحرب حتى قضت عليها، فيقول:" حاربت جمعية العلماء، سياسة الإدماج في جميع مظاهرها، فقاومت التجنيس، ونازلت أنصاره ودعاته حتى قهرتهم، وأخرستهم، وقطعت عليهم الحبل في أيديهم، ثم أفتت فتواها الجريئة فيه' يوم كانت الجرأة في مثل هذه المسائل بابا من العذاب، فكان ذلك منها تحديا للاستعمار، وإبطالا لكيده، وتعطيلا لسحره، وأثبتت بتلك المواقف للجزائر إسلاميتها."

جعل الشيخ ابن باديس من دروسه ومقلاته في جرائد الجمعية، وسائل لمحاربة الفرنسة والاندماج، وقد عبر عن رفضه لسياسة الإدماج في جريدة الشهاب، بقوله: إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها، وفي أخلاقها، وفي عنصرها، وفي دينها، لا تريد أن تندمج، ولها وطن محدود معين هو الوطن الجزائري ..."

كما نددت الجمعية بالحكم الاستعماري وممارساته الظالمة، بالإضافة إلى المطالبة بحق الجزائريين كافة في الانتخاب، كما كانت تسعى لتحقيق الوحدتين العربية والإسلامية، وتبني قضاياهم وفي مقدمتها قضية فلسطين[11]، لقد تجاوزت الجمعية كل هذه المطالب، والرفع من سقفها بالمطالبة بالاستقلال، ولو بطريقة غير مباشرة، وهذا منلمسه من خلال العديد من تصريحات بن باديس ، سيأتي الحديث عنها لاحقا.

لقد كانت دعوة ابن باديس صريحة في التخطيط لانتشال الأمة الجزائرية من الوضعية المزرية التي آلت إليها من جراء معاول الهدم الاستعمارية التي فرضت عليها، في المقابل سعى ابن باديس إلى تصحيح عقلية الناس و عقائدهم لان ذلك هو الطريق الموصل إلى الحرية ،قال تعالى : " إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغير ما بأنفسهم"[12]، و قد بدأ ابن باديس مشروع بناء الامة من خلال التعليم و المدارس و الكتاتيب و حتى النوادي .

2- الاهتمام بالتربية والتعليم:

شرعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورئيسها منذ تأسيسها في 1931/05/05م بنادي الترقي بالعاصمة في تأسيس المدارس لإعداد جيل جديد متشبع بالمبادئ والقيم الإسلامية ومتقنا للغة العربية محافظا عليها، من أجل تحضيره لمهام صعبة لا يقدر عليها سوى

من كان مسلحا بكل تلك القيم، كما قال الشيخ عبد الحميد ابن باديس "تعليم الأمة، وإحياء الروح العربية الإسلامية سلاح أكيد لتحرير الجزائر "[13]

فذكر الشيخ البشير الإبراهيمي في ذلك بقوله: " جاء الدور الثاني لجمعية العلماء وهو دور التربية الإسلامية والتعليم العربي الابتدائي الحر، المستحمل على المبادئ العربية وآدابها ومبادئ التاريخ الإسلامي والتربية الإسلامية .....للجمعية الآن (1954م)بل للأمة الجزائرية أكثر من مائة وخمسين مدرسة ابتدائية حرة رغم الاستعمار الفرنسي، يتردد عليها أكثر من خمسين ألف تلميذ من أبناء الأمة الجزائرية، بنين وبنات يدرسون مبادئ لغتهم وآدابهم وأصول دينهم وتاريخ قومهم"[14]

وإنّ ما قام به عبد الحميد بن باديس إلى جانب إخوانه العلماء في الجمعية من أعمال إصلاحية في المجتمع الجزائري ، كان لا بد منها كلبنة أولى قبل حمل السلاح وإعلان لجهاد ضد المحتل الفرنسي ؛ لأنه لا يُنتظر من مجتمع يتفشى فيه الجهل ، والخرافات ، والفرقة بين أفراده ، أن يقدم على أمر جلل كهذا . فمن أمثلة ما قام به ابن باديس نبذ الفرقة بين الجزائريين وأعراقهم؛ وهو ما عبّر عليه بقوله: " إنّ أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضعة عشر قرنا...فأيّ قوّة بعد هذا يقول عاقل تستطيع أن تفرّقهم ... "[15]

لقد كتب للمنهج الباديسي الإصلاحي التغييري كلّ النجاح، وكانت أبرز مظاهر نجاحه ممثلة في الاستجابة الجماهيرية العارمة بمناسبة الاحتفال بختم القرآن، والفتنة العنصرية التي أشعلها اليهود بقسنطينة، وافتتاح مدرسة الحديث بتلمسان، وتدشين دار الطلبة بقسنطينة، وغير ذلك من التظاهرات الإقليمية في مناسبات مختلفة[16].

وبذلك استطاعت الجمعية إنقاذ ما يمكن إنقاذه من مليوني طفل عربي مسلم، فإليها يرجع الفضل في تكوين حركة ثقافية نشيطة، نشرت التعليم العربي في المدارس والمساجد على نطاق واسع في أوساط الأهالي، حيث ركزت الجمعية على بناء المدارس الحرة والأهلية والتي بلغت عشية اندلاع ثورة التحرير سنة 1954م حوالي 150مدرسة، بمعدل قسمين لكل منها ، و أكثر من ذلك فقد سعت مع الحكومات العربية باسم الأمة الجزائرية لإرسال مئات الطلبة الجزائريين للدراسة على نفقة هذه الدول.

كما أقدمت جمعية العلماء على إنشاء العديد من الجمعيات والنوادي التي أسهمت في حركية تكوين الشباب الجزائري، بعدما أضحت معلما هاما من معالم الإحياء، وقد أشار إليها الدكتور سعد الله بقوله: "فقد خلق الجزائريون الجمعيات التنويرية والنوادي الثقافية،

بالإضافة إلى الصحافة لكي يساعدوا على إنقاذ مواطنيهم من الانحطاط."[17] ، وذلك رغم تضييق السلطات الاستعمارية عليها ومحاربتها سرا وعلانية لمدارسها ونواديها وإغلاقها للعدد الكبير منها بين وقت وآخر، وزجها بالمعلمين والمديرين في السجون والمعتقلات بدعاوى مختلفة، كل ذلك قصد الحد من انتشار التعليم العربي بين أبناء الشعب الجزائري وحصره في أضيق نطاق ممكن، ثم بقصد الحد من نفوذ جمعية العلماء الأدبي والروحي والوطني لدى الشعب الجزائري[18]

إن ثمار هذه المجهودات التي قام بها ابن باديس والجمعية في تربية النشء وتعليمه، كانت ثورة نوفمبر 1954م، ولما كانت الدعوة إليها وفق تلك التعاليم التي انتشرت في ربوع الجزائر، فقد كان من السهل على الشعب الجزائري أن يتبنى العمل الثوري وينخرط فيه دون تردد.

ب/ ابن باديس يعد بإعلان الثورة:

لئن ظل ابن باديس وفيا لهذا الأسلوب الاستراتيجي الشمولي في مواجهته للاستعمار خلال كل سنوات نشاطه، فإن الإطار السياسي الذي يندرج فيه نشاطه قد بدأ يتبلور بصفة خاصة منذ سنة 1937م، عندما بدأ بن باديس يجهر بأنه لا مناص من المغامرة في مواجهة الاستعمار، وذلك من خلال الأشعار والخطب والمقالات التي كان ينشرها في مختلف الجرائد والمجلات خاصة الشهاب، وكذا ما رواه بعض تلامذته. وهذه بعض النماذج التي تبين تنبأ ووعد ابن باديس بالثورة.

استعمل عبد الحميد بن باديس الشعر كوسيلة للتعبير في العديد من المناسبات، من أجل بث الحماسة في نفوس من يخاطبهم ومن يلقي عليهم ما نظمه من قصائد، فكانت بدورها دالة على المنحى الذي كان يسير فيه الرجل وهو الاستعداد للثورة ضد الاستعمار، فقد جاء في إحدى قصائده المعروفة المقطع التالي:

يـا نشء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب
خذ للحياة سلاحها وخذ الخطوب ولا تهب
من كان يبغي ودنا فعلى الكرامة والرحب
أو كان يبغي ذلنا فله المهانة والحرب
هذا نظام حياتنا بالنور خط وباللهب
هذا لكم عهدي به حتى أوسد في الترب

فإذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر والعرب[19]

نرى ابن باديس في هذه الأبيات، استعمل كلمات ذات مدلول ثوري؛ مثل: سلاحها، الخطوب، الحرَب، اللهب، ليذكر أنّ ذلك عهده إلى أن يموت، فإذا مات فـ تحيا الجزائر والعرب، وغيرها الكثير من القصائد التي تصب في نفس الاتجاه.

وفي مقال له تحت عنوان: هل آن أوان اليأس من فرنسا نشر بالشهاب، جاء قوله: لقد أخذ اليأس بتلابيب الكثير منا، وهو يكاد يعم، ولا نتردد أنه قد آن أوانه ودقت ساعته ثم قال: والله لا تسلمنا المماطلة إلى الضجر الذي يقعدنا عن العمل، وإنما تدفعنا إلى اليأس الذي يدفعنا إلى المغامرة والتضحية «اهـ ما هي المغامرة المصحوبة بالتضحية أليست الثورة المسلحة التي تحقق الاستقلال؟ إن الثورة لا تكون إلا بالتضحية الغالية بالأنفس والأموال، والمغامرة يقدم على مغامرته دون أن يحسب حسابا لربحه أو خسارته ويوازن بينهما

وقد نقل عنه انه قال لبعض جلسائه من تلامذته سنة 1936م، وهو ما يرويه الشيخ محمد الصالح رمضان انه أجاب لما سئل من بعض شبان الحركة الوطنية، وقالوا له أنت شخصية كبيرة، لماذا لا تدعوا للاستقلال وأنت مسموع الكلمة؟ فقال لهم: يا أبنائي من أراد أن يبني مسكنا هل يبدأ بالسقف؟ قالوا لا، قال فبماذا إذن؟ قالوا: بالأساس والجدران، قال هذا ما افعله، وما غايتنا من عملنا إلا الاستقلال[20]، لكن للأسف نجد من يشكك في هذه الحقيقة، أو ينكرها من المناهضين للجمعية وفكرها.

و في ندائه إلى الامة الجزائرية و نوابها يشير إلى ضرورة اليأس من الاتفاق مع الاستعمار، و ضرورة الثقة بالنفس، فيقول: " لقد تجاهلت فرنسا قيمة الوطنية الجزائرية، فما على الجزائريين إلا أن يعرفوا قيمة أنفسهم "، ثم يذكر مواطنيه بموقف وزير الحربية الفرنسية "اداورد دلاديه" من الوفد الجزائري سنة 1936م، عندما اعلن صراحة أنه يعارض كل المعارضة في إعطاء الجزائريين حق النيابة البرلمانية، ما داموا متمسكين بحالتهم الشخصية الإسلامية[21]

كان هذا التصريح من جانب دلاديه كافيا في ان يقطع حبل الرجاء امام من ظل يحسن الظن بالسياسة الفرنسية ، و تأخذ ابن باديس العزة الإسلامية و العربية فيقول:" حرام على عزتنا القومية و شرفنا الاسلامي أن نبقى نترامى على ابواب برلمان امة اخرى ، او ترى اكثريتها ذلك كثيرا علينا ، و يمسنا كثير منها في شخصيتنا الاسلامية ، و يجرح اعز شيء لدينا ، لندع الامة الفرنسية و ترى رأيها في برلمانها و لنتمسك عن ايمان وامل ، و لنطالب بالمساواة

التامة في جميع الحقوق في وطننا و اولها المساواة في المجالس النيابية"[22] ، كما دعى جميع الأحزاب السياسية إلى تناسي الخلافات و إلى سياسة التسامي عن النزعات الشخصية ، و الانخراط في مسعى مقاطعة السلطات الاستعمارية ، ما لم تمنح الجزائريين حق المساواة في المجالس النيابية.[23]

كما استقبل بعد رجوعه من فرنسا من طرف عشرات الآلاف فخطب فيهم قائلا:" أيها الشعب إنك –بعملك العظيم الشريف-برهنت على أنك شعب متعشق للحرية، وهائم بها، تلك الحرية التي ما فرقت قلوبنا منذ كنا نحن الحاملين للوائها، وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها وكيف نحيا ونموت من اجلها" وتابع كلامه قائلا:" ايها الشعب لقد عملت وانت في أول عملك هذا فأعمل داوم على العمل، وحافظ على النظام، واعلم بأن عملك هذا، ما هو إلا خطوة ووثبة، وراءه خطوات ووثبات وبعدها إما الحياة وإما الممات."[24]

و بمناسبة افتتاح دارا لحديث سنة 1937م ، و المتزامن مع ذكرى مرور مئة عام على احتلال قسنطينة ، حرر نداء يدعوا فيه الامة الجزائرية للصيام و ملازمة المساجد ، و عندما عارضه احد تلامذته غضب الشيخ وقال :" يا أبنائي ، إنكم تعلمون أني لم أطلب أي شيء لنفسي ، و لكني اليوم أطلب لنفسي شيئا واحدا ، هو أن تسمحوا لي أن اكون أول ضحية في سبيل الجزائر ، عندما يحين الوقت للتضحية في سبيلها "[25]

مما سبق يتضح لنا الشيخ الامام ابن باديس كل تصريحاته و ندآته كانت تصبح في اتجاه واحد وهو الدعوة للحرية و تحقيق الاستقلال ، حتى لو اقتضى الامر حمل السلاح و اعلان الثورة.

ج/ ابن باديس يهّم بتفجير الثورة:

لقد كان ابن باديس مؤمنا بالحرية ، و يجعلها حقا شرعيا للإنسان و بدونها تنعدم و تزول الإنسانية ، فعندما كانت بوادر الحرب العالمية الثانية في الأفق ، و تجند فرحات عباس مع الجيش الفرنسي كطبيب ، كان ابن باديس يشعر بالأسى و الالم لذلك ، و في هذا الشأن يروي الشيخ احمد حماني ، انه في إحدى أمسيات خريف 1939م ، في مجلس بمدرسة التربية و التعليم بقسنطينة ، و كان الحديث حول الأوضاع السياسية في العالم ، و إعلان الحرب العالمية الثانية ، و قبول بعض رجال الاحزاب السياسية التجنيد في الجيش الفرنسي طوعا او كرها ، قال ابن باديس :" لو انهم استشاروني و استمعوا لي و عملوا بقولي لأشرت عليهم

بصعودنا جمعيا إلى جبال الاوراس و إعلان الثورة المسلحة"[26]، ولو وجدت عشرة من عقلاء الأمة الجزائريين وافقوني على اعلان الثورة لأعلنتها[27]

كما أكد الشيخ محمد الحاج بجة أحد تلاميذه الأقدمين – من دائرة آقبو – أنه كان تلميذا في أوائل الثلاثينات، وأن الشيخ رحمه الله كان يسأل تلاميذه الكبار : هل أديتم الخدمة العسكرية ؟ ومن أجاب بنعم ميزهم عن الآخرين وصرح لهم أننا سنحتاجكم يوما ما، وحثهم على عدم نسيان ما دربوا عليه من أعمال الحرب، ولعل هذه الشهادة تفسر شدة اتصاله بتلميذه الشيخ الفضيل الورتلاني رحمهم الله جمعيا، فقد كان من الذين أدوا الخدمة العسكرية قبل أن يتصل به فكان يقربه جدا، ويستصحبه معه في بعض رحلاته ويركن إليه في تربية صغار تلاميذه على الثورة[28].

تحدّث الأستاذ حمزة بوكوشة – وهو من أقرب المقربين إلى الشيخ عبد الحميد والعاملين معه في ميادين العلم والإصلاح والسياسة – إنه دعاه ذات يوم للمبايعة على إعلان الثورة المسلحة، وحدد له تاريخ إعلانه بدخول إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا ضد فرنسا، مما يحقق هزيمتها السريعة، فبايعتُه على ذلك، وكان بالمجلس غير الأستاذ حمزة منهم من تردد ومنهم من أقدم على المبايعة. وقد أكد الشيخ محمد بن الصادق جلولي هذه الرواية ودعمها. ولكن المنية أدركت ابن باديس قبل موعد إعلان الثورة ببضعة وخمسين يوما، فقد مات في 16 أفريل 1940 م، ودخلت إيطاليا الحرب في 10 يونيو 1940 م[29]

الخاتمة :

في الأخير نستطيع القول إنّ النشاط الإصلاحي الذي شغل جانبا واسعا من حياة الإمام ابن باديس ، لم يكن إلا مقدمة وتهيئة للنفوس ، من أجل خوض غمار المقاومة ، واسترجاع الحرّية المسلوبة .فقد كان الشيخ كما وصفه عمر آوزقان ثوريا خالصا وحكيما ، لا يتطلب من كلّ مرحلة أكثر ممّا تقدر أن تعطي ، لقد عاش ابن باديس للفكرة و المبدأ و مات و هو يهتف "فاذا هلكت فصيحتي تحيا الجزائر و العرب."

الهوامش:

---

1. -القران الكريم ،الاية77 من سورة النساء .
2. - القران الكريم ،الاية36 من سورة التوبة .
3. - مبارك الميلي ، رسالة الشرك و مظاهره ، دار الغرب الإسلامي ، ط5، 2000 ، ص 109

-آثار الإمام ابن باديس ، ج3 ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية و الجزائر ، ط1 ، 1991، ص155[4]

[5]- مالك بن نبي ، وجهة العالم الإسلامي ، ترجمة عبد الصبور شاهين ، بإشراف ندوة مالك بن نبي ، دار الفكر ،الجزائر ،دمشق ، ط5 ، 1986 ، ص 54

[6]- محمد الصالح رمضان ، جمعية العلماء و دورها العقائدي و الاجتماعي و الثقافي ، مجلة الثقافة ، عدد83، السنة الرابعة عشر ، سبتمبر /أكتوبر 1984 ، ص 362

[7] - نصر الجويلي ، جمعية العلماء المسلمين بين الدين و السياسة ، المجلة التاريخية المغربية ، السنة الخامسة عشرالعدد50/49 ، جوان 1988، تونس ، ص 109.

- مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن، دار الفكر، العادة الرابعة، ط2 ، 1427هـ-2004.[8]

[9] - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين المنعقد بمركزها العام "نادي الترقي "بالجزائر، دار الكتاب الجزائر ، ص72.

[10] - نفسه ، ص73.

[11]- حول اهتمامات الجمعية بالقضية الفلسطينية انظر: احمد مريوش، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ،ج1،ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر و التوزيع ،2013 ، ص 274.

- القرآن الكريم الاية 11 من سورة الرعد [12]

[13]- عبد الحميد بن باديس " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان " ، جريدة البصائر ، العدد03 ، 22 شوال1354/01/17/1936 ، ص 02

- زرهوني،المرجع سابق، ص 29[14]

[15]- عبد الرزاق قسوم : "حاجة الجزائر اليوم . إلى المنهج الباديسي " ، مجلة الوعي ، فكرية ثقافية شهرية ، تصدر عن دار الوعي ، الجزائر، العدد01 ، رجب . شعبان 1431هـ/جويلية 2010م ، ص33 .

[16] - حسن عبد الرحمان سلوادي ، عبد الحميد بن باديس مفسّرا ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1988م ، ص08 .

- سعد الله، الحركة الوطنية،ج2، ص144[17]

- نفسه، ص 395[18]

[19]- القصيدة ألقاها ليلة حفلة جمعية التربية والتعليم بقسنطينة ، يوم الإثنين 13 ربيع الأول 1356هـ/11جوان 1937 م ، بعنوان : تحية المولد الكريم :للمزيد انظر: عبد الرحمان شيبان ، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، دار المعرفة ، الجزائر ، 2009م ،ص.ص.75،74

[20]-محمد صالح رمضان ، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس-من آرائه و مواقفه – الجزائر دار البعث 1983، ص49

- محمد الميلي ، ابن باديس و عروبة ال3جزائر، الطباعة الشعبية للجيش ،الجزائر،2007، 116[21]

، ص111

- نفسه [22]

[23]- لا نستطيع ان نطلب من الشيخ ابن باديس في هذه الحقبة من الزمن أكثر مما نادى به ، ولا سيما أن زعماء الاحزاب السياسية ظلوا ينادون بالمساواة

-الشهاب ، ج6، م12سبتمر 1936، ص [24]272

- محمد خير الدين ،مذكرات،ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، 1985 ، ص[25]407

- احمد حماني ،ابن باديس و الثورة ،مجلة بونة ،العدد02، نوفمبر 2004،الجزائر،ص[26]99

- عمار طالبي ، اثار ابن باديس ،دار اليقظة العربية .دمشق ،1978. [27]214

- حماني ، مرجع سابق،ص99 و ما بعدها.[28]

- الميلي ،ابن باديس و عروبة الجزائر ، مرجع سابق، [29]116